

مختصر ابن كثير

- 26 - وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون .
- 27 - إلا الذي فطرني فإنه سيهدين .
- 28 - وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون .
- 29 - بل تمتعت هؤلاء وآبائهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين .
- 30 - ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون .
- 31 - وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .
- 32 - أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون .
- 33 - ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون .
- 34 - ولبيوتهم أبوابا وسرا عليها يتكئون .
- 35 - وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين .
- يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء ووالد الأنبياء الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها وأنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال : { إنني براء مما تعبدون ... إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ... وجعلها كلمة باقية في عقبه } أي هذه الكلمة وهي { لا إله إلا الله } أي جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم { لعلهم يرجعون } أي إليها قال عكرمة ومجاهد { وجعلها كلمة باقية في عقبه } يعني لا إله إلا الله لا يزال في ذريته من يقولها وقال ابن زيد : كلمة الإسلام وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة ثم قال جل وعلا : { بل تمتعت هؤلاء } يعني المشركين { وآبائهم } فتناول عليهم العمر في ضلالهم { حتى جاءهم الحق ورسول مبين } أي بين الرسالة والندارة . { ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون } أي كابروه وعاندوه كفرا وحسدا وبغيا { وقالوا } أي كالمعترضين على الذي أنزله تعالى وتقدس { لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم } أي هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم ؟ { من القريتين } يعنون مكة والطائف (قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي ومحمد القرظي وابن زيد) وقد ذكر غير واحد من السلف أنهم أرادوا بذلك (الوليد ابن المغيرة) و (عروة بن مسعود الثقفي) وعن مجاهد : يعنون (عتبة بن ربيعة) بمكة و (ابن عبد ياليل) بالطائف وقال السدي : عنوا بذلك (الوليد بن المغيرة) و (كنانة بن عمرو الثقفي) والظاهر أن

مرادهم رجل كبير من أي البلديتين كان قال تعالى ردا عليهم في هذا الاعتراض : { أهم يقسمون رحمة ربك } ؟ أي ليس الأمر مردودا إليهم بل إلى الله ﷻ وأعلم حيث يجعل رسالاته فإنه لا ينزلها إلا على أذكى الخلق قلبا ونفسا وأشرفهم بيتا وأطهرهم أصلا ثم قال D مينا أنه قد فوات بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول الفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال : { نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا } الآية .

وقوله جلت عظمتة : { ليتخذ بعضهم بعضا سخريا } أي ليسخر بعضهم بعضا في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا ثم قال D : { ورحمة ربك خير مما يجمعون } أي رحمة الله ﷻ بخلقهم خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا ثم قال سبحانه وتعالى { ولولا أن يكون الناس أمة واحدة } أي لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن أعطانا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لأجل المال { لجعلنا لمن يكفر بالرحمن

لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج } أي سلالم ودرجا من فضة { عليها يظهرون } أي يصعدون { ولبيوتهم أبوابا } أي أغلقا على أبوابهم { وسررا عليها يتكئون } أي جميع ذلك يكون فضة { وزخرفا } أي وزهبا قاله ابن عباس والسدي { وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا } أي إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله ﷻ تعالى أي يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشرب ليوافقوا الآخرة وليس لهم عند الله ﷻ تبارك وتعالى حسنة

يجزيهم بها . ثم قال سبحانه وتعالى : { والآخرة عند ربك للمتقين } أي هي لهم خاصة لا يشاركون فيها أحد غيرهم ولهذا لما قال عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم حين رآه على رمال الحصير قد آثر بجنبه فابتدرت عيناه بالبكاء وقال : يا رسول الله ﷺ هذا كسرى وقيصر فيما هم فيه وأنت صفوة الله ﷻ من خلقه ؟ وكان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس وقال : " أو في شك أنت يا ابن الخطاب ؟ " ثم قال .

صلى الله عليه وسلم : " أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا " وفي رواية : " أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة " وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قال : " لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة " وإنما خولهم الله ﷻ تعالى في الدنيا لحقارتها قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم : " لو كانت الدنيا تزن عند الله ﷻ جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء أبدا " (

أخرجه الترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد وقال الترمذي : حسن صحيح)